

تأليف الكاتبة، سدره المنتهى محمد نضال غنّام

أتعلمين ... ؟

هذه المرّة الثالثة عشرة التي أعيدُ فيها ترتيبَ كلماتي من جديد بمحاولةٍ فاشلةٍ منّي كي أصفَ مكانتكِ في قلبي، ثمانٍ وعشرين حرفاً من لغةٍ بأكملها عجزوا عن القيامِ بهذه المهمةِ، ولكنني لا أُلقي أيُّ لومٍ عليهم فحتّى عقلي الباطني لم يُسعفني بوصفٍ يليقُ بكِ، فإنِ وصفتكِ بصدیقتي لأنقصتُ من قيمتكِ كثيراً، وإنِ نعتكِ بأختي فإنني هكذا أجعلُ علاقتي بكِ محدودةً بخلافِ ما أريدهُ تحديداً.

أنتِ المناسبةُ في جميعِ الأوقاتِ، والظروفِ والأحوالِ، أنتِ الصّحةُ المستحيلةُ وسطَ جوٍّ من الحزنِ، أنتِ المكافأةُ المُنتظرةُ بعدَ يومٍ شاقٍّ، طويلٍ، ومتعبٍ.

صوتكُ هو موسيقيّ المفضلةِ، وابتسامتكِ هي ما أطمحُ لرؤيتهِ دائماً دونَ أيِّ مللٍ، فرحكُ يتسببُ في فرحي، ونجاحكُ هو أكبرُ انتصاراتي وأجملها أيضاً، أن تكوني حزينَةً هذا يعني أنني سأشردُ في اللّاشيئ لفتراتٍ طويلةٍ، وسأفكرُ مراراً أن أتصلُ بكِ في جميعِ الأوقاتِ، غيرَ أنّ فكرةَ حاجتي لأن أكونَ بقربكِ لأمسحَ حباتِ الوَلوِّ التي تنهدرُ من عينيكِ على الأقلِ.

وإنِ عجزتُ في جعلكِ سعيدةً، سأحتضنكِ لنبكي معاً، ويختفي حزننا سوياً، هذهِ الفكرةُ لاتكادُ تفارقُ مخيلتي إطلاقاً، لكِ أن تتخيلي مقدارَ تعاستي عندما تكونين حزينَةً، لكن لا عليكِ يامدلتني، أعدكُ أنّ الأمورَ كلّها ستكون على مايرام، وستجري كما تحبين تماماً، وأعدكُ أيضاً، أن أعوضكُ عمّا مضى من أحزانٍ، وأننا سنتجاوز ما بقي منها سوياً، (أعدكُ أن نشيب سوياً).

"أنتِ يامن لائِقْرأين، ولا تُكْتَبين"، أَحَبِّكَ.

## " مزاج "

شمسٌ مشرقة، أمطارٌ تهطل بسرعة.. أزهارٌ تتفتّح، وأوراق أشجارٍ تتساقط..

وفتاة جميلة تتأمل هذا الجو ذو المزاج المتقلب من خلف زجاج نافذة مليء بقطرات المطر التي تكاد تتبخّر من حرارة الشمس...

فهذا الجو لا يريد أن يكون صيفيًا ولا شتويًا ولا حتى ربيعًا أو خريفًا قط.

نحن غالبًا ما نكون كهذا الجو تمامًا حيث لا نستطيع تحديد شعورنا أهو «حزن» أم «فرح» أم أننا نريد النوم إلى ما لا نهاية، هو ليس نوعٌ من التشاؤم بل هو رغبةٌ في «اللاشيء».. شعورٌ من الملل يجتاح أنفسنا ربّما يكون بلا سبب وربّما يكون لأسبابٍ تبدو لكم غير منطقيّة، ربّما بسبب هذا المجتمع المنافق المحترف بأبشع وأسوأ صور الكذب والنفاق .. أو ربّما بسبب هذا المجتمع الظالم الذي يعامل الغنيّ على أنه الملك والفقير كأنه العبد، فهم يخافون الغنيّ حتى وإن لم يكن ذو سلطةٍ أو منصبٍ ولكن لمجرّد أنه يملك المال فهو يستحق الاحترام والخوف منه حتى.. أما الفقير فهو منبوذٌ بينهم لا يحقُّ له إبداء رأيه مثلًا أو العمل في وظيفةٍ محترمة حتى، وهذا أقلُّ ما يمكن حتى!

وهذا بالنسبة لكم أيضًا سببٌ لا يستحقُّ التّفكير حتى كغيره من الأسباب التي تبدو لكم غير منطقيّة، بينما هي تشغل الجزء الأكبر من تفكيرنا.

جميعنا مزاجيون، كاذبٌ من يقول أنّه ليس مزاجيًا.. إن لم تكن مزاجيون مع الآخرين فنحن مزاجيون مع أنفسنا حتمًا، فتارةً نريد النوم وتارةً أخرى نوذُّ السّهر حتّى بزوغ الفجر، وتارةً نشعر بالجوع وتارةً أخرى لا نطيق أكل حبةٍ من الزيتون رغم أنّنا لم نأكل شيئًا منذ الصباح، هذه طبيعةٌ بشريّةٌ جبلنا عليها لا يمكنكم محاسبتنا عليها.. ليس من حقّكم نقد تصرفاتنا وتقييمها، أو حتّى مقارنتها مع تصرفات شخصٍ آخر.. ليس من حقّكم التّمر على هذا الشّعور الذي نعيشه أو هذه التّصرفات التي تصدر منّا؛ فهذا مزاجنا الخاص وحياتنا المستقلّة عن حياتكم.. يجب عليكم أن تفهموا أنّ مكان أنفكم الطبيعي في منتصف وجهكم وليس في حياتنا، كفاكم نفاقًا ومثاليّة.

\*كيف تجاوزت ذلك!\*

بوسط العتمة، الخوف، الخذلان، الدموع. في غرفة قديمة مهترئة فارغة تكاد جدرانها تقع من فرط التعب ، كانت وتين في وسط هذه الغرفة تبحث عن أي شيء لتتكئ عليه ، وبعد أن تركتها جميع الجدران البشرية هي الآن تلجأ إلى جدار من الإسمنت لترتمي عليه ولكن حتى هذا الجدار لا تستطيع أن تتكئ عليه فهو إن تنفست في وجهه يكاد أن يسقط في الحال.

جلست تضمُّ ركبتيها إلى صدرها بعد أن يئست أن تجد سنداً لها في هذه الحياة بدأت تتذكّر الحادث الذي تسبب بوفاة والديها وشقيقتها التوأم، وأنها لو لم تكن مريضة وذهبت معهم لكانت؛ هي أيضا الآن في حفرة صغيرة تغطّيها كومة من تراب إلى جانبهم.

كانت تتذكّر كلمات والدتها لها في لحظاتها الأخيرة عندما قالت لها : إنك ابنتي القويّة، وأنا أثق بك كثيراً، إيّاك أن تسمح لي بشيء أن يكسرك، أو أن يمحي ابتسامتك الرائعة تلك.

تذكّرت نظرة والدها الأكم الأخيرة لها، التي كان يقول لها من خلالها: أنا فخور بك كثيراً ياوتين، كوني قويّة، فالحياة لا تنتظر الضّعيف، ثمّ أغمض عينيّه ولم يفتحهما حتى الآن.

مسحت دمعها بطرف منديل قديم كان في جيبها وسمعت صوت أختها التوأم يتردّد إلى مسامعها حين همست في أذنها قائلةً: نعم لقد رحل جسدي يا أختي، ولكن روعي ستبقى تحلّق حولك دائماً، يا توأم روعي، أرجوك ألا تبكي بعد اليوم، أنا أحبك جدّاً يا وتين.

خرجت من صدرها تنهيدة طويلة، ثم ظهر أمام عينيها طيف عائلتها وهم يبتسمون لها ابتسامتهم المعتادة، نهضت بسرعة لترتمي في حضنهم، لكنّها وجدت هذا الطيف قد تلاشى.

حينها أدركت أنّها لن تتمكن من رؤيتهم مجدداً.

مسحت دمعها الأخيرة العالقة تحت رمشها المبلّل، ونهضت بابتسامة قوّة أخفت خلفها كلّ آلامها، وقالت وهي تنظر للسماء: أعدكم أن لا أخبّب ظنكم بي، وأن أكون ابنتكم القويّة كما تريدون.

بعد مرور ثلاث سنوات وخمسة أشهر وأربعة أيام، كانت وتين تحمل ثلاث باقات من الزهور، وتقف بجوار ثلاث قبور، برفقة طفلين ورجل .

وضعت الزهور، وقرأت لهم آيات من الذكر الحكيم، ثمّ أردفت قائلة: لم أنساكم إلى اليوم يا أقرب من الوتين لقلبي، ولن أنساكم حتّى، إنني عملت بوصيتكم، وتجاوزت حزني ومنعت دموعي من الظهور، حتّى أنّي تمكنت من مواجهة مصاعب الحياة من بعدكم بمفردي، وها أنا اليوم أقف أمامكم بصفتي الدكتورة الجراحة وتين الآغا أمّ لطفلين، وزوجة لرجل أعمالٍ مهم، كان لي بمثابة السند بعدكم، ثم استطعت أن أتجاوز كلّ شيء كما وعدتكم فكنّتُ أبني من أحزاني وجروحي جسراً لأتجاوز باقي العقبات في هذه الحياة، كنتُ أبكي في كلّ مرّة لأعود أقوى مما كنت عليه، كنتُ أستعين بالله دائماً، وتجاوزتُ ذلك فعلاً.

أنتم قوّتي حتّى وإن كنتم تحت التراب، وسأجعلكم فخورين بي دائماً أعدكم بذلك.

---

\*لعنة الطرف الثالث...!\*

(الجزء الاول)

---

\_ حبيبي أتعدي ألا نسمح لشيءٍ أن يفرّق بيننا أو أن يكون حاجزاً في وجه حبنا؟!

أن لا نسمح للظروف ولا للمال ولا لعادات المجتمع حتى أن تهدم هذا الحب الذي بيننا؟!

= أيعقل أن تسألني سؤالاً كهذا يا حبيبتي!

إنّ حبي لك أكبر من أن يهدمه شيء، أعدك أن أبقى أحبّك حتى نشيب سويّاً، أعدك بذلك.

---

هذا ما كانت تتذكّره وتين عندما رأت حبّ حياتها يبتعد عنها شيئاً فشيئاً، كانت تقف حائرة تحت سقف غرفتها تفكر في طريقةٍ حتى يعود الحبّ الذي كان بينها وبين أحمد كما كان من قبل؛ هي الآن لا تعرف ماذا حصل في الآونة الأخيرة حتى!

لا تستطيع أن تجد أسباباً منطقية لتغيّر أحمد المفاجئ معها!

فأحمد هذا الذي كانت تقضي معه ساعات الليل كلّها وهما يتحدثان معاً، هو الآن يتفنّن في خلق الحجج والأعذار ليتهرّب من اتصالاتها!

أحمد الذي كان يستحيل أن يمرّ يومٌ دون أن يأتي إلى الجامعة في تمام  
السّاعة الثانية وعشرون دقيقة حتّى يصطحب وتين إلى محلّ يبيع  
المثلجات ومن ثمّ يأخذها إلى البيت، وفي طريق العودة لا بدّ له أن  
يُسمعها أغنيتها المفضلة التي تكاد تنتهي المطربة من كلماتها فور  
وصولها إلى البيت؛

كلّ هذا قد اختفى أو أنّه لم يختفي بعد، ولكنّه يتلاشى نعم ولكن على ما  
يبدو أنّه سينتهي قريباً!

رغد هذه التي كانت صديقتك منذ الطفولة أو كما تدعوها أنت بأختك،  
وكنّت تلومني دومًا عندما أغار عليك منها، هي الآن تقضي كلّ أوقاتها  
معك!

هي الآن تتهمني بأقبح الصّفات لكي تبتعد أنت عني!

رغد هذه الذي كنت تعتبرها أختك، أنت الآن تشاركها كلّ تفاصيل  
يومك، حتّى أنّك تفعل معها كلّ ما كنّا نفعله سوياً، ألهذا الحدّ لم يعد لي  
قيمة عندك يا أحمد!!

ألهذا الحدّ أنت تحبّها!

أو أنّك نسيت من تكون وتين يا أحمد؟!

ألم تعدني أن نشيب سوياً؟!

ألم تعدني أنّنا لن نسمح لشيءٍ أن يفرّقنا؟!

ألم تعدني أن نقف في وجه كلّ الظروف والعادات والتقاليد التي تعرقل  
طريق حبّنا!!

ولكن ماذا حدث الآن يا أحمد؟!

فإنّ الظروف لم تواجهنا والعادات كانت في صفنا، لم يقف شيء في  
طريقنا سوى رعد!

أهذا الحدّ يصعب عليك أن تواجه رعد يا أحمد!

رعد فقط لتكون معي لتدافع عن حبّنا لتفي بوعدك لي؛ ولكن على ما يبدو  
أن لعنة الطّرف الثالث قد حلّت على حبّنا يا عزيزي، والظاهر أنّك لا  
تستطيع ردّها.

---

## \*لعنة الطرف الثالث\*

( الجزء الثاني )

في غرفتها القديمة ذات الأساس المهترئ، تجلس وتين بعد خيبتها الأولى؛

لم تعد المناديل الورقية تكفي لتجفف دموعها، هي الآن تتذكر المشهد الأخير الذي لا يزال عالقاً في ذاكرتها، تتذكر صورة حُبِّ حياتها يُمسك بيد صديقة طفولتها؛ لم تعد مساحة الأرض تكفيها لتفرغ ما بداخلها، هي الآن تريد البكاء إلى ما لانهاية فقط، تريد أن تبعد عن هذا المجتمع المنافق الذي يتفنن بأبشع صور النفاق هذه.

هي الآن أدركت معنى أن يكون الإنسان وحيداً، وحيداً بكل معنى الكلمة بدون صديقه المفضل أو شخصه المقرب أو أحد أفراد عائلته حتى، لكنها رغم ذلك تماكت نفسها وجمعت زمام ما تبقى لديها من قوة وخرجت تسير في شوارع المدينة تجرُّ حزنها خلفها.

جلست في إحدى مقاهي المدينة تحتسي كوباً من القهوة المثلجة؛

لكنها للتو أدركت أنها تجلس في المقهى الذي كانت لطالما تجلس مع أحمد فيه؛ ولم ينته الأمر هنا، فهي كانت تجلس على الطاولة المخصصة لهما وحدهما حتى، وتشرب مشروبهما المشترك أيضاً، شعرت كأن تياراً من الكهرباء يسري بداخلها، انتفضت مسرعةً ونهضت في الحال، خرجت من المقهى تعاود سيرها في شوارع المدينة دون أن تحدد لنفسها وجهةً تقصدها، هي فقط تريد أن تهرب من التفكير بالذكريات.

نظرت إلى جهة اليمين فوجدت محلاً لبيع المتلجات التي كان أحمد لا يمل من شرائها لها بشكل يومي بعد دوامها في الجامعة، أخفت جرح قلبها مجدداً ومسحت دمعها التي كادت أن تخونها وتابعت سيرها بقوة مصطنعة وهي مصرة أن تنسى كل ما يتعلق بأحمد هذا .

أكملت سيرها محاولة أن تُغمضَ عينيها كي لا ترى أي شيء يُذكرها بالأخير هذا مجدداً، وبدأت تسيرُ وتسيرُ وتسيرُ إلى أن تسلل إلى مسامعها صوتاً تعرفه جيداً لا هذا لم يكن صوت أحمد، بل كان صوت أنغام الأغنية التي أهداها إياها أحمد في لقائهما الأخير، كان ينبعثُ صوتها من إحدى المقاهي هناك، لكنّ وتين هذه المرة لم تستطع أن تتجاوز هذه الصّفة أيضاً فقد كان الأمرُ بالنسبة لها أشبه بدخولِ رمشٍ في عيني رجلٍ مبتورَ اليدين، جلست على الرّصيف تضمُّ ركبتيها إلى صدرها، تطلق العنان لدموعها وهي تسمع كلمات الأغنية

\*إلا دموعك أنت .. إلا دموعك أنت..\*

\*صعب عليّ .. صعب عليّ..\*

\*أشوف يحبيبي دموع ف عينك..\*

إلى أن سقطت مغمى عليها وسط حشدٍ كبيرٍ من الناس فوق رأسها؛

آخر ما تسلل إلى سمعها صوت شابٍ يقول: يجب أن ننقلها إلى المشفى في الحال.

نعم أعزائي إنّها حرقَةُ الذّكريات، حرقَةُ الماضي الأليم، سببها مرضُ  
التّفكيرِ الدّائمِ الَّذي لطالما عجزنا أن نعالجه بالنّسيان، على ما يبدو أنّ  
\*لعنة الطّرفِ الثّالثِ\* قد حلّت على وتين.

\*هاوية الاستسلام\*

\_\_ ماتت أُمِّي في شهرِ ديسمبر من السَّنَةِ الماضية، كنتُ أرى بعينها أَنَّها أجملُ مافي هذه الحياة، ولكنَّها قد ذهبت الآن، وأدركتُ مؤخرًا أَنَّها لن تعودَ مجددًا، ورغمَ ذلك وقفتُ من جديد، وتجاوزتُ انكساري. مسحتُ دموعي بمناديلِ القوَّة، ونهضتُ مجددًا لأكملَ طريقي كما علَّمتني أُمِّي دائماً.

\_\_ طُرِدْتُ من المخزنِ القديمِ الَّذي أسكن فيه؛ لأنني لم أستطع أن أسدِّدَ المبلغَ المطلوبَ لهذا الشهرِ كاملاً.

قد كان ينقصه ثلاثة جنيه، ورغمَ ذلك حاولتُ أن أبحثَ عن مكانٍ آخر من جديد، وألاً أستسلم.

\_\_ صديقتي الَّتِي كنتُ أحفظُ عندها نقودي، الَّتِي أحصلُ عليها من عملي في المتجر، عندما أتيتُ لكي أستعيدها منها حتى أدفعَ الأجرةَ لصاحبِ المخزن، قالتُ لي بانكسارٍ وحسرة: أنَّ زوجها قد أجبرها أن تعطيه إيَّاهم كي يصرفهم في الملهى، وعلى الرَّغمِ من أنَّ هذه الجنيهاتِ كانت كلُّ ما أملك في هذه الحياة، عدتُ لأجمعَ غيرها من جديدٍ دون استسلام.

\_\_ البارحةُ وفي تمامِ السَّاعةِ السَّابعة وثلاثون دقيقةً تحديداً، كنتُ أوزعُ شرابَ البرتقالِ على الأشخاصِ الَّذين قامَ حبيبي بدعوتهم إلى حفلِ زفافه، ذلكَ الحفلُ الَّذي كانَ من المفترضِ أن أكونَ العروسَ فيه.

كان نصيبي منه أن اوزع الضيافة على ضيوفه فحسب، وفي نهاية  
الحفل أتى "حبيبي" ليعطيني ظرفاً فيه القليل من النقود قائلاً: هذا ثمن  
أتعابك في حفل زفافي، كنتِ خادمةً جميلةً، ومميزة، لكنك فقيرةٌ للأسف.  
أتمنى لك حياةً جميلةً، رغم أنني لست متأكد من أنك سوف تحظين بها،  
ولكن لا بأس.

حاولتُ ألا اكرث للجرح الأربعين في قلبي، وخرجتُ من ذلك المكان  
وصدى كلماته لازال يتردد في مسمعي إلى الآن، ولكن لن أضعف  
بسببه، فأنا أقوى من ذلك بكثير، نهضتُ من جديد، وتابعتُ مسيرتي كما  
كنتُ أفعل في كل مرةٍ أنهض بعد كل صفةٍ من هذه الحياة، لأقف مجدداً  
وأتحدى الاستسلام والفسل.

لكن موت أبي المُقعد؛ بسبب انتهاء ذرات الأوكسجين من قارورة جهاز  
التنفس المتصل بأنفه، كانت الصدمة التي استغرقت الوقت الأطول حتى  
استطعتُ أن أقف بعدها من جديد.

ذلك الإنسان الذي كنتُ أستمدُّ منه القوة لتجاوز كل شيء، قد ذهب ولن  
استطع بعد الآن أن أشعر بدفي أنفاسه مجدداً.

لكنني نهضتُ، نعم نهضتُ من جديدٍ وتابعتُ مسيرتي، فهذه كانت وصيةُ  
أبي لي في ليلته الأخيرة.

وأنا قطعتُ له وعداً ألا استسلم وسأفي بذلك الوعد، ثم تابعتُ مسيرتي،  
إلى أن جاء ذلك اليوم الذي وصفت به صديقتي أنني بأنه كبير، وأن  
شكله مثيرٌ للضحك حتى.

هذا ما لم أستطع تجاوزه، رغم أنني كنت أعلم أنّ شكل أنفي غير لائق،  
ولكنّ كلماتها جاءت في الوقت الذي كنت فيه أنا بأمس الحاجة لكلمة  
لطيفة تمسح الحزن عن قلبي في يوم ذكرى وفاة أختي التوأم إثر حادث  
سير، عندها فقط سقطت.

نعم، سقطت في هاوية لا نهاية لها، ولا أظن أنني سأخرج منها بعد الآن،  
فأنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، هذه المرة تخلت عني كل قوايي  
للنهوض مجدداً، ليس بسبب كلام صديقتي في يوم ذكرى وفاة أختي  
وحسب، بل المشكلة أكبر من ذلك بكثير، إنّها التراكمات يا سادة.

نعم، التراكمات التي تجعل الإنسان يخسر نفسه رويداً رويداً، إلى أن  
يأتي ذلك اليوم الذي لم يعد بوسعه بعده أن يتحمل مثقال ذرة من تعب.

ثم يسقط في هاوية الاستسلام، تلك الهاوية التي لا يوجد فيها طريق  
للنهوض من جديد، وها أنا قد سقطت فيها حقاً.

## \*الخدلان\*

\_\_\_\_\_ \*خدلان\* كلمة لظالما تطرأت إلى مسامع الجميع، ولظالما تحدّث أغلب النَّاسِ عن تجربتهم المريرة معها، فمنهم؛ من عاشوا خدلان العائلة، ومنهم من عاشوا خدلان الصديق المقرب، ومنهم من كانت تجربتهم مع أشخاصٍ دامَ الحبُّ بينهم ما يقاربُ العشرَ سنواتٍ على أقلِّ تقديرٍ.

ولكنَّ كلَّ هذه التجارب عاديةٌ جدًّا ويمكنُ للإنسانِ أن يتجاوزها مع مرورِ الوقتِ وبأقلِّ الخسائرِ حتَّى.

ولكن، هناك نوعٌ من الخدلانِ حتَّى وإن تمكَّن المرءُ من تجاوزه، لن يستطيعَ تجاوزَ عقباته.

وهو أن تخذلَ نفسك في الوقتِ الذي يجبُ عليكِ فيه أن تحتضنُها كأنَّها طفلٌ رضيع.

\_\_ كيف يكون ذلك؟!!

سأخبرك كيف، عندما ترمي نفسك في طريقِ الهلاكِ بينما طريقُ الهدايةِ والرَّشادِ متاحٌ أمامك، ولكن أنت من أسأت الاختيار، وخذلتَ نفسك.

عندما يحينُ موعدُ الصَّلَاةِ، ويأتيك اتصالٌ هاتفيٌّ من صديقٍ لك، وتفضّل اتصالك مع صديقك على اتصالك مع الله تعالى.

عندها تكونُ قد خذلتَ نفسك، ولا تنسى أنك ستدفعُ ثمنَ هذا الخدلانِ عاجلاً أم آجلاً.

عندما يُتاحُ لك أن تستمعَ إلى إحدى صوتين، إمّا صوتُ القرآنِ أو صوتُ الأنغامِ الموسيقيّةِ المحرّمةِ، الخاصّةِ بمطربكِ المفضلِ، وتختارُ تلكَ الأنغامِ المحرّمةِ من دون ترددٍ حتّى، عندها تكونُ قد خذلتَ نفسكَ أشدَّ خذلانٍ.

عندما تدخلينَ إلى محلٍّ مخصّصٍ لبيعِ الثيابِ ويُعرضُ لكِ ثوبٌ فضفاضٌ، وآخرٌ ضيقٌ جداً، ذو ألوانٍ ملفتةٍ، وفاقعةٍ وتختارينِ الأخيرَ، هذا ما يُدعى بخذلانِ النَّفسِ يا عزيزتي.

عندما يكونُ هاتفكِ النّقَالُ في يدكِ، وأمامكِ عدّةُ خياراتٍ لمشاهدتها، لكنّك تفضلينَ مشاهدةَ الأفلامِ المخلّةِ بالأدبِ والأخلاقِ، على أن تتابعي برنامجاً تعليمياً هادفاً، هذا هو الخذلانِ بعينه.

هو خذلانكِ لثقةِ أهلِكَ، عندما تتكلمين مع شابٍ لساعاتٍ طويلةٍ من الليل دونَ معرفتهم.

الخذلانِ، هو عندما تقومينَ بإرسالِ صوركِ بمظاهرٍ غيرَ لائقةٍ لذلكِ الشابِ متحججةً بعبارةٍ "سوف يصبح زوجي في المستقبل" وعندما يتركُكِ تقولينَ لقد خذلني!

لا يا عزيزتي انتِ من خذلتِ نفسكِ، عندما اخترتي أن تسيري في هذا الطّريقِ مخالفةً أمرَ ربِّكِ ووالديكِ.

عرفتي الآن، أنّ كلمةَ خذلانِ أعمقُ بكثيرٍ مما نراهُ ونسمعُ عنه من قصصِ النَّاسِ .

مرحباً لنفسي القديمة، مرحباً لوتين قبل خمس سنواتٍ من الآن.

في اللقاء الأخير الذي كان بيننا، وعدتك حينها أن آتي لزيارتك بعد خمس سنوات من وقتها، وها أنا الآن أفي بوعدتي لك.

وقتها كنت في قمة ضعفك وانكسارك، كنت تشعرين أن هموم الحياة كلها قد أقيت على ثاقليك، كلُّ هذا فقط، لأنَّ صديقتك المفضلة قد تخلت عنك، ووصفتك بالحمقاء.

هههههههه نعم أنا أضحكُ عليكِ أنتِ، كم كنتِ ساذجةً، وسطحيةً حينها.

هل حقاً كنتِ تبكين لهذا السبب!

أتذكرين حينها؟

كنتِ تفكرين أن تشربي عشرَ حباتٍ من الدواء، عسى أن تتسلمي وتموتي كي تشعرَ تلكَ الصديقةُ كم أنها آذتكِ.

أتذكرين ماذا كانت أكبرُ مخاوفك حينها؟! كنتِ تعتقدين أنه عندما تنتهي الأوراقُ في الروزنامة السنوية، وقتها سينتهي العالم، وستموتُ جميعُ الكائنات، كنتِ كلما قاربتِ الأوراقُ على الانتهاء تسارعين إلى أن تساعدي والدتك في أعمال المنزل عسى أن ترضى عنكِ قبل موتك.

وها أنا اليوم وبعد خمس سنواتٍ تحديداً، أتيتُ لأخبركِ: أنني اكتشفتُ أنه سيواجهك في الحياة مخاوفٌ، وعقباتٌ أكبرَ من أن تتخلى عنكِ صديقة، أو أن تمرَّ معلمتك المفضلة من قربك دون أن تُلقي عليكِ تحية الصباح، ويصيبك حالةٌ من الاكتئابِ لمدة أسبوعٍ بسببِ هذا فقط.

اكتشفتُ أنّ هناك أشياء تستحقُّ البكاءَ أكثرُ بكثيرٍ من تلك التي كنتِ تبكينَ من أجلها، لبيتكِ وفرّتي دموعكِ إلى اللّحظة التي توفيت فيها والدتكِ مثلاً؛ أظهرها المناسبة الوحيدة التي تستحق البكاء، نعم حينها فقط بكيّت بطريقةٍ هستيرية، لم أكن استوعبُ ما كان يحدثُ غير أنّي كنتُ أحاول جاهدةً أن أنكر حقيقة أنني لن أستطيع رؤية عيناى أمي في كلّ صباحٍ مجدداً بعد اليوم.

ورغم ذلك فقد نهضتُ، واستجمعتُ كلّ ما تبقى لديّ من قوّة، ووقفتُ على قدميّ مجدداً، وواجهتُ الحياة من جديد بقوّة أكبر من قبل، فهذه كانت وصيّة أمي لي.

أنا الآن أقوى منك، أنا الآن فهمتُ الحياة بطريقةٍ صحيحة، فهمتها بالطريقة التي جعلتني أواجه كلّ صفعاتها لي بابتسامةٍ جميلة، حتّى أنّ فكرة الموت لم تعد تخيفني كما كانت تفعل من قبل.

لا أعلمُ الآنَ ماذا سوف أقولُ لكِ!

هل أنا ممتنةٌ لكِ لأنني بسببك أصبحتُ أقوى من قبل، ولأنك جعلتني أنظرُ للحياة بعين الإيجابية؟

أو أنّه يجب عليّ أن ألومكِ لأنك كنتِ حسّاسة، وضعيفة، لأبعد الحدود.

وجعلتني كلّ من حولك ينظرُ إليك على أنّك الفتاة التي لا تقوى على فعل شيء، وأنّ كلّ مكروهٍ يحصل معها سيجعلها تبكي وتتهار!

لا عليكِ فأنا فخورةٌ بكِ على كلّ حال وأحبك كيفما كنتِ فأنتِ الجزء الوحيد الصادق في داخلي.

## \*رسالة إلى ابنك المستقبلي\*

بعد ما يقاربُ خمسة عشرَ عاماً من الآن تقريباً، سيكون قد رزقني الله بزهرة جميلة في حياتي، ستكون مهمتها أن تنير لي هذا الكون بأكمله فقط، أن تلونه بأجمل ألوان الطيف بدلاً من الألوان الثلاثة التي لا تكاد أمها تمل أو تكل من استعمالها "الأسود، والرمادي، والبني الداكن".

عندها سأستيقظ على صوت أنغام جميلة جداً، بدلاً من صوت المنبه المزعج في كل صباح.

عندها أيضاً، سيكون لدي كائن لطيف، وجميل جداً، سيشاركني وجبة الأطفال خاصتي التي أتناولها في كل يوم.

وعندما تكبر هذه الزهرة الجميلة، ستجد لديها صديقة تكبرها بأكثر من عام، تدعى "سدرة"، نعم سأكون صديقتك يا طفلي المدللة، لن أكون أمك التي تخافين منها عندما تخطئين، حتى أنني لن أجعلك تضطرين إلى أن تخفي عني درجتك المنخفضة في المادة "الإنكليزية"، فأنا أعلم كم أن هذه المادة ثقيلة الدم، وأنت لا تحبين معلمتها، لا عليك فأمر كانت هكذا أيضاً.

لن أكون تلك الأم، التي لن تسمح لك بأن تنامي خمس دقائق إضافية عندما يحين موعد المدرسة، فأنا أعرف أن هذه الخمس دقائق تعني لك الكثير.

أيضاً لن أكون تلك الأم التي تسمحُ بزيارة أصدقائك لكِ ولكن لا تسمحُ لكِ أنتِ بزيارتِهِنَّ، تحتَ معتقدٍ "أنَّ أهلهمُ سوفِ يقومونَ بخطفك" لا يا عزيزتي سأسمحُ لكِ بتبادلِ الزياراتِ معهنَّ، على عكسِ ما كانتِ تفعلُ جدتكِ العزيزةُ معي.

لن أصرخَ في وجهكِ عندما تكونُ غرفتكِ غير مرتّبة؛ لأنَّ غرفتي ستكونُ كذلكِ أيضاً، لا عليكِ يا عزيزتي سنرتّبها لاحقاً.

لن أمنعكِ من تناولِ "الإندومي" لأنني سأتناوله معكِ أيضاً

حتّى أنني لن أصرخَ في وجهكِ عندما تنامينَ أكثرَ من عشرِ ساعاتٍ في أيامِ العُطل، بل سأطفئُ لكِ الأنوارَ، ولن أسمحَ لأحدٍ أن يزعجكِ، على عكسِ ما كانوا يفعلونه جدكِ وجدتكِ مع أمكِ.

ولن أمنعكِ من أن تتكلمي لساعاتٍ طويلةٍ مع صديقاتكِ على الهاتف؛ لأنني أعلمُ أنكِ تتكلمنَ في موضوعٍ (غيرٍ) مهمٍ كأصدقاء أمكِ تماماً.

اااه نسيتُ أن أخبركِ أنّه سيكون اسمك \*وتين\* أيضاً

أعدكِ أنكِ ستحظين بأُمٍ مثاليةٍ يا عزيزتي ، ولكن دعيني أجد والدكِ المثالي أولاً.

المال: هو ما يصفه الجميع بقمامة الحياة، تلك القمامة التي تستطيع بواسطتها أن تصل إلى أعلى الدرجات والمراحل التي عجز مئات المجتهدون والكادحون أن يصلوا إليها، بتلك القمامة، بإمكانك أن تشتري بيتاً جديداً عوضاً عن ذلك الذي تآكل بسبب الحرب، بينما غيرك يحلم ويسعى جاهداً أن يرمم غرفة صغيرة على أطراف المدينة، يسكن فيها وعائلته.

بتلك القمامة بإمكانك أن تذهب في سياحةٍ لأكبر الدول الأوروبية، بينما هناك شابٌ يجمعُ القرشَ فوقه الفلس كي يذهبَ لهنالك كي يتعافى من مرضٍ خبيثٍ اجتاح جسده دون أي وجهٍ حق.

لذلك تجدُ الكثير من الشباب ينسحبون من فرصة الفوز في المركز الأول بكثيرٍ من المسابقات، أو من فرصة الحصول على منحةٍ أو شهادةٍ أو غيرها، لأنهم على يقينٍ أنهم لو بذلوا أطناناً من الجهد سيأتي أحدهم ليضع رزمةً واحدةً من العملة الخضراء على منضدة المسؤول، فيحصل على ماكنت تحلم به أنت، ليذهبَ تعبك هباءً منثوراً.

أرجوك يا أبي أنا لا أريد أن أتزوج الآن، أريد أن أكمل دراستي،  
أرجوك.

=تكملي ماذا؟! دراستك!!

ومنذ متى تدرسُ الفتاة في عائلتنا أكثر من المرحلة الإعدادية!؟

أرجوك يا أبي، أريد العودة إلى المدرسة ، فأنا مجتهدة جداً.

=كفاكِ جدالاً واذهبي لتجهزي الضيافة لابن عمك، هيا.

.....

\_\_\_\_\_

مرحباً أيها المدير، أتيتُ لأعيد ابنتي الوحيدة للمدرسة، فهذه رغبتي.

= أيها السيد، إن ابنتك توفت منتحرة.

هذه المرة السابعة التي أقول لك فيها هذا

الأمان: هو قطعة الشوكولا تلك التي خبَّأتها تحت فراشي في اللحظات  
الأخيرة قبل خروجنا من المنزل، خوفاً من أن يأكلها أخي، وبعد انتهاء  
الحرب، عدتُ لأجدُها كما هي في مكانها فأعطيْتُها لأخي

اصمت، اصمت، كفى هيا اصمت ستفضحنا أيها القلب! أرجوك  
اصمت، وتوقف عن الخفقان بهذه الطريقة سيفضح أمرنا يا هذا.

❤️ : كيف لي أن أصمت؟

ألا ترين كيف يقفُ هناك بشموخه الذي لطالما عهدناه عليه؟  
انظري انظري إنه يُشبهُ الصورة التي كُنّا نتخيله فيها دائماً!!  
ياويلتاه إنه يتقدمُ نحونا، أترين إنه يتقدم. هاقد وصل يا إلهي!

= مرحباً

❤️ : إنها أجملُ مرحباً أسمعها في حياتي. ااه أيا ليتني مرحباً.

\_\_ أهلاً، أهلاً وسهلاً

= كيف حالك؟

عساك بخير؟

❤️ : الآن قد أصبحتُ بخير، الآن عرفتُ معنى الخير من أساسه.

\_\_ بخير الحمدُ لله، تفضّل؟

= أردتُ أن أسألكِ أين تكونُ صالةُ الأفراح \*\*\*\* إن كنتِ تعلمين؟

❤️ : بالتأكيد يريدُ أن يحجزَها لنقيمَ فيها فرحنا لكنّه سيتركها لي مفاجأة،  
كم أنك عاطفيٌّ يا عزيزي!.

\_ إنها تبعدُ عن هذا الشَّارعِ خمسينَ متراً ستُعرفُ مكانَ بوابتها من  
صخبِ الغناءِ هناكِ.

=شكراً لكِ يا...؟

❤️: أنتَ تمزحُ بالتَّأكيدِ أليسَ كذلكِ؟! أتسألُ عن اسمي؟! هل أنتَ جادٌ  
حقاً في سؤالك؟!

أنسيتَ أنّكَ كُنْتَ تدعوني دائماً بمدلتي الصَّغيرةِ ولكن لا بأس سأسامحك  
هذه المرّة.

\_ اسمي هو مدل.... اه رغد نعم رغد هو اسمي

= شكراً يارغد، وأنا جان، سلام.

❤️: هل أنتَ بكاملِ قواكَ العقليةِ حقاً!!

لِما أنتَ مُصرٌّ أن تستخفَّ بي لهذه الدّرجة! في البداية تسألني عن اسمي  
والآن تخبرني باسمك!

أنا أحفظه أكثرَ من اسمي حتّى!

ولكن لا عليكِ فلن نتشاجرَ هذه المرّة أيضاً، فنحنُ قد تصالحنا البارحة  
في لقائنا الأخير، وأظنّكَ نسيتَ أيضاً

\_ مع السّلامةِ جان.

على ما يبدو أنه عليّ أن أخفف من أحاديث الخيال هذه قليلاً، وإلا فإنني سأقع في ورطة؛ لن أخرج منها إلا وأمي تلاحقني بحذائها الأحمر السّميك من مكانٍ إلى آخر، وأبي يبحثُ لي عن رجلٍ في بداية السبعينات كي أتزوجه

عُفِرَ ذَنْبُ غِيَابِكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِسَبَبِ وَرْدَةِ الْأَقْحَوَانِ النَّائِمَةِ تَحْتَ وَسَادَتِي،  
تِلْكَ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْكَ فِي إِحْدَى شَوَارِعِ دِمَشْقِ الْقَدِيمَةِ، هِيَ لِاتِّزَالِ حَتَّى  
الآنَ الذِّكْرَى الْوَحِيدَةِ مِنْكَ لِي بَعْدَ مَوْتِكَ، كُنْتُ أَوْدُّ لَوْ أَعْرَفُ، أَسَقَطْتَ  
مِنْكَ عَنِ طَرِيقِ الْخَطَا؟!

أَمْ أَنَّكَ كُنْتَ مُتَعَمِّدًا لَفْتِ انْتِبَاهِي؟!

لَيْتَكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ حَيْرَتِي هَذِهِ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ رِصَاصَةَ التَّشْيِيعِ مِنْ قَلْبِكَ  
مَسْكِنًا لَهَا، لَكِنْ لَا عَلَيْكَ يَا عَزِيزِي أَرْقُدْ أَنْتَ بِسَلَامٍ وَسَابِقِي أَنَا أَتَصَبَّرُ بِهَا  
إِلَى أَنْ يُشَيِّعَ جُثْمَانِي أَيْضًا، لَكِنْ أَظَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْحَوَانَ هُوَ نَوْعُ الْوَرُودِ  
الْمُفَضَّلِ لَدِي؛ لِذَلِكَ فَأَنَا أَيْضًا أَحْبَبُكَ

جميعنا بحاجة لتلك الوعود بالأشياء الجميلة، والكلمات المشجعة، والابتسامة الصادقة، تلك الأفعال التي يقومون بها الآباء لحظة خروج أطفالهم من مراكز اللقاح، أو في اللحظات الأولى عقب دخولهم للمدرسة لأول مرة، جميعنا بحاجة لذلك التصفيق الذي يسبقه كلمة (بابا) للمرة الأولى، من فم طفلٍ انتظره والده لسنينٍ طويلة.

فالكلمات اللطيفة، لا تتدرج تحت صنف الكلمات التي تختص بزمان، ومكان معينين، ككلمات تهنئة الأعياد مثلاً، أو كلمات العزاء حتى.

لأنها مناسبة لكل الأوقات، ومطلوبة، ومحببة أيضاً، ونحن مهما تقدّمنا في السن نبقى بحاجة لها، وتلك الابتسامات الصادقة، ولذلك التصفيق الذي يكون على أبسط الإنجازات وأصغرّها، حتى أنّ أثر الأشخاص الذين يقومون بتلك الأشياء لأجلنا يحتلّ المنطقة الأبدية في ذاكرتنا أي: (الغير قابلة للنسيان)، تماماً كالطفل الذي عندما كبر وأصبح شاباً، لم ينس ذلك الشخص الذي كان يُقدّم له الحلويات والهدايا في الأعياد.

جلسَ معها سبْعٌ وثلاثون دقيقةً، وقبل أن يذهب، سأَلها عن عمرها  
فأجابت سبْعٌ وثلاثون دقيقةً.

\_\_الأخ، سند وقوّة وحُبّ، لهفة وشوق، عاطفة واهتمام، حُسن وحنان،  
أمان، ضحك، انسجام.

\_\_وأنا كلُّ هذا، لكنني لستُ أخاكِ.

\_\_ أتذكرين القصة التي طلبتُ رأيك فيها؟

بأنَّ أحد أصدقائي أحبَّ فتاةً عن طريق الصدفة، لم يكن ينوي ذلك أبدًا، لم تكن صديقته، ولا زميلته في العمل، لم تكن شيئًا له، هو فقط اعتاد رؤية عينيها مع قهوته الصباحية يوميًا، من خلف شاشة هاتفه، هو فقط أدمن النظر الطويل في ابتسامتها الطفولية عند كلِّ مساء، لتكون صورتها آخر ما يُطبع في ذاكرته، عند كلِّ ليلة؛ كنتِ أنتِ هي تلك الفتاة، وكنتُ أنا من أُغرم بكِ.

\_\_ أتذكر ماذا أجبتك حينها؟!

\_\_ قلتِ أخبره أن يُكثر من التلميحات في حديثه معها، فهي تُحبُّ التلميحات، أكثر من الحبِّ.

\_\_ إذا ماذا...؟

\_\_ إذا سأخبرُ صديقي، أن يُخبر الفتاة، بأنه يتعمدُ كتابة (أنتي) بالياء عوضًا عن الكسرة، ليس بقصدٍ إزعاجها، أو لأنَّه يعشق ملامح وجهها وهي غاضبة، لا لكنَّه لا يجروُّ على كسرِها، حتَّى في اللُّغة.

بعد الكشف الكامل عن أبعاد الجريمة، والأسباب المؤدية لها، وجدتُ ورقةً مكتوبة بخطّ القتيلة تقول فيها: "كنتُ أودُّ لفت انتباهك، ولو بخبر موتي".

على ما يبدو أنه عليّ إعادة النظر في أسباب الجريمة من جديد.

أثناء كتابتي لآخر أحداث نصّي الجديد، قال البطل الوسيم للفتاة التي كانت طوال القصة لا تبرح عن لفت انتباهه بأنها تحبّه، قال لها: "تعالى نعيش متلازمة الحبّ الشرقي، أنتِ تُحبّيني، وأنا أتزوِّج من أحبّها"

على ما يبدو أنّه عليّ إعادة النّظر بأحداث القصة، لأجعل البطل الوسيم، يموت برصاصة طائشة من سلاح فتاة مغرومة.

أتذكرُ المرّةَ الأخيرةَ التي كنتَ تحملُ فيها طفلةً ماذا قلتَ لو الدتكَ حينها؟!!

قلتَ لها: أريدُ واحدةً تشببها تمامًا، بجمالِ عينيها، وطولِ شعرها، وسحرِ ابتسامتها.

وبعدُها بفترةٍ أتيتَ لِتُخبرَ أبي، بحبِّكَ لي؛

لذا دَعنا نَنفقُ على أمرٍ في غايةِ الأهميّةِ، يُمنعُ حملُ الأطفالِ بعدَ اليومِ،  
وشُكرًا.

أحقُّ للمرء أن يُحبَّ أحدهم في خياله؟!!

فيغار عليه وكأنّه من ممتلكاته!

يرسم له في ذهنه عشرات بل مئات السيناريوهات لأحاديثٍ معه يخبره فيها عن مدى اشتياقه له أثناء الفترة التي يُضطرّ فيها أسفاً أن يعود لواقعه الذي يفتقد فيه لوجوده!

يتشاجران تارةً، وتارةً أخرى يتصالحان، يخبره عمّا يُحب وما يكره، يشاركه تفاصيل يومه ويتخيّله يستمع له بإصغاءٍ تامٍّ أيضاً، وكلُّ هذا في الخيال!

ثمَّ يودّعه لينام وهو على يقينٍ أنّه سيُكملُ لقائه معه في ذلك الحلم المعهود!.

"حقاً قد يكون لنا في الخيال حياةً أحياناً.. وحياةً جميلةً جداً أيضاً، غير أنّها ربّما لا تكون بهذا الجمال إن تحوّلت إلى حقيقةٍ، فلنعشها بخيالنا كما يحلو لنا إذاً"

هو شعورٌ بالتسليم الكلي لكل ما يحدث حولنا ويجري من أحداث، أو أنه رغبةٌ عارمةٌ في اللاشيء.

الكثيرُ من أكواب القهوة الخالية من مذاق السكر، الكثير من ساعات النوم المتتالية، فنحن لا نكاد نستيقظ، حتى ندخل مجدداً في سباتٍ عميقٍ آخر، وكأنه النوم بعد تعب، هه وأيُّ تعبٍ هذا!

فأنتَ للتو استيقظت يا هذا! أتعبك النوم؟!!

أم أنك كنتَ منهمكٌ في صنع أحلامك؟!!

كلّا!

فحتى اللحم لا تتعبُ نفسك فيه، فهو يأتيك جاهزاً، ما عليك إلا مشاهدته دون أن تضطر إلى أن تفتح عينيك حتى!

فعن أيِّ تعبٍ تتحدث؟!!

الكثير من الهالات السوداء تحت أعيننا، ولكن لا بأس فلم يتوقف الأمر على الهالات فحسب!

فكل ما حولنا أسود، من ملابسنا إلى عقولنا إلى عالمنا وتفكيرنا حتى، ترى أحدنا اليوم يفكر بالانتحار أكثر من أن يأتي على باله مجرد هاجسٍ في بناء أسرة وإنجاب الكثير من الأولاد، لكن حرمانيّة الأمر تقف في طريق تنفيذ البعض له أحياناً.

إن أردت أن تضحك شاباً في هذا الوقت فاطرح عليه فكرة الزواج فقط! فماذا تنتظر من جيلٍ ينام ويصحى وهو يفكر في سبيل للهجرة!.

أولُ أعلامنا هي الخروج من بؤرة الفساد التي نعيشُ فيها هذه، بل إنَّ تحقيق أعلامنا كُلِّها متوقَّفٌ على تحقيق حُلْم الهجرة هذا.

تري النَّاس هنا يُسمّون المال (بقمامة الدنيا) لكنني أتحدّاك أن تجد شخصاً واحداً فقط واحد لا يبحثُ عن تلك القمامة، بالله عليك إن كانت أعلامك لا تتحقّق إلا بجنيك للقمامة فما هي طبيعة تلك الأعلام في مجتمع يتّخذُ أبناءه من القمامة سبيلاً لتحقيق أعلامهم والنّجاة بأرواحهم!!!

حقاً إنّها رغبة عارمة اللّاشيء!.

أتذكرُ تلكَ اللّيلةَ الّتي نظرتَ فيها مطوّلاً إلى عينيّ، ثمّ همست داخل أُذني  
"أحبك!"؟!

كانت ليلة بألف ليلة، تمنيتُ حينها أن يتوقف الزمن عند تلك اللحظة،  
تمنيتُ حينها لو كان بإمكانني أن أجعل زمن الثانية الواحدة ستون دقيقة،  
وزمن الدقيقة ستون ساعة، وأن أجلس معك لمدة أقصاها عشرة أيام على  
أن يكون كل يوم بمثابة أسبوع، والأسبوع الواحد يساوي ثلاثون يوماً  
واليوم يكون يوماً ضوئياً، لكن للأسف فالزمن اللعين لم يستجب لأمنيّاتي  
ومضى مُسرِعاً لكنّ تأثير تلك النظرات والكلمات دام طويلاً على الرّغم  
من انقضاءِ أجلها.

أذكرُ يومها أنني لم أستطع النوم بسهولةٍ وعندما خلدتُ إلى النوم بأعجوبة نمتُ وابتسامةٌ سحريةٌ تحتلُّ ثغري، حتَّى أنني استيقظتُ باكراً رغمَ أنه لم يمضِ على نومي إلَّا بضْعُ ساعاتٍ قليلة، لكنني استيقظتُ وكأنني كنتُ نائمةً لأيامٍ طويلةٍ فقد كنتُ بكاملِ نشاطي، يومها أكلتُ الفاصولياء التي أعدتها أمي على الغداء ونسيتُ تماماً أنني كنتُ لا أطيقها وأشعرُ بالغثيان لمجرد أن أشم رائحتها، حتَّى أن أمي قالت لي حينها أنني كنتُ أكلها والابتسامة تملئ وجهي، لم أكن أتخيّل أن يأتي ذلك اليوم الذي سأكل فيه الفاصولياء إلَّا إن كان في البلاد مجاعة ربّما والطعام الوحيد المتاح هو الفاصولياء، لكن أن أكلها وأنا بكامل قوايي العقلية ومبتسمةً أيضاً، الأمر الذي عجز عقلي الباطني عن تصديقه، حتَّى أنني غسلتُ الصّحون والأطباق من دون تدمرٍ، كنتُ مبتسمةً وأنا أغسلها وأدنينُ بأنغامٍ وكلماتٍ جميلة ارتجلتها لحظتها، فعلى الرغم من كُرهي الشديد لأعمال المنزل وحقدي الأشدّ على غسل الأطباق تحديداً إلَّا أنني قمتُ بهذه المهمة وأنا سعيدة جداً رغم أنه كان دور أختي في غسل الأطباق، لم يستطع عقلي أن يُصدّق كلّ هذه التّغيرات الفجائية دفعةً واحدة، استمعتُ يومها لكثيرٍ من الموسيقى الشّرقية ورقصتُ على ألحانها بمرحٍ مُفرطٍ رغم أن نوع موسيقيي المفضّل كان دائماً الكلاسيكي الهادئ، وضعتُ يومها شيئاً من مساحيق التّجميل على وجهي، وبدلتُ الكثير والكثير من الثّياب الملونة رغم أنّ رغبتني كانت منعدمة تجاه مثل هذه الأشياء، وكانت الألوان الداكنة تحتلُّ ملابسي دائماً، اتصلتُ بأكثر من صديقة وتحدّثتُ معهم لساعات وصوت ضحكاتي لم يهدأ حينها، أنا التي كانت تتعمّد دائماً أن يكون هاتفها خارج نطاق الخدمة كي لا تُجيب على أيّ اتصال، حينها أيضاً لبّيتُ دعوة أبي عندما طلب إليّ أن أذهب معه لزيارة عمّتي التي كنتُ دائماً أتحدّج بأنني مريضةٌ مرض الموت كي لا أذهب لأرى وجهها صاحب النّسخة الواحدة والعشرون على ما أظنّ فهي متعدّدة الوجوه والألوان أيضاً، كان عقلي يقف في حالة جمودٍ من كلِّ

هذا، بعد عودتي أضفتُ الكثير من الصور والعبارات إلى قصّتي على الفيسبوك التي كدتُ أنسى وجود مثل هذه الميّزة في جهازي أحياناً، يومها رأيتُ أختي ترتدي أحد قطع ثيابي لتخرج بها كانت تسيرُ خفيةً تخشى أن أراها لكنني حينها تغزّلتُ بجمالها وابتسمتُ لها ولم اقتلع خصلة من شعرها وأنا أُجبرها أن تخلعها كما كنتُ أفعل دوماً، حتّى أنّها بدأت تتحسّس حرارتي فقد شكّت أنّي جُننت!.

لكّ أن تتخيّل كيف كان تأثير كلمتك ونظرتك عليّ، فقد جعلتني أهتمّ بنفسي واكتشف التّفاصيل الصّغيرة الجميلة فيها، جعلتني أنظر للحياة بطريقةٍ جديدة لم أعهدّها على نفسي سابقاً، كنتُ أشعر حينها أنّي فراشةٌ لا تسعها مساحة الأرض لتطيرَ فيها فهي تريد أن تُحلّق عالياً حيث الجمال والحُبّ والسّعادة اللّامتناهية، جعلتني أفعل أشياء لم أكن أتصوّر أن أفعلها طوال حياتي، كانت الابتسامة صديقتي طوال الوقت،

لكن لحظة!

هل أنا أحبك أيضاً؟!

أعتقد أنّي لستُ متأكدة من إجابتي الآن، أو أنّي متأكدة!!

لا أعلم حقاً!

هل ما شعرتُ به إثرَ كلمتك ونظرتك السّاحرة تلك كان هو ما يدعونه بالحبّ؟! سأفكّر في هذا الأمر لاحقاً، لكن الآن سأتصلُ بك لأذكرك بالأوراق التي طلبتها منك..

.....

\_ هو: مرحباً.. وتين؟

= هي: وتين تُحبك

حبيبي الأبله.

يا لك من أبلهٍ حقاً!

أتعتقد أنني أحبك فقط لأن اسمك تصدر أولى صفحات كتابي المفضل؟!!

أتعتقد أنني أحبك فقط لأنني عرفتُ أن لونك المفضل هو الأسود، وأنتك تُحب أن تشرب القهوة عند الرابعة عصراً، وأنتك تُحب القراءة، وأنّ الفويّاج هو عطرك المفضل؟!!

وأنتك تُحبّ الموسيقا القديمة، ودائماً ما ترتدي الساعات المعطّلة، تُحبّ البازلاء، وتكره الدجاج، تُحبّ الشتاء، ولا تُفضلُ شربَ الدّواء.

أتعتقد أنني أحبك فقط لأنني نظرتُ لك سبع وثمانون مرّة على سبيل الخطأ! هل من الممكن أن أحبك فقط لأنني قطعتُ شعر تلك القذرة التي جلست قربك على الكرسي!.

أيها الأبله: أنا أصبحتُ أشرب القهوة باردة صُدفةً، ليس لأنك تُحبّها هكذا، وأحببتُ الرّياضة فقط لأنها مفيدة، ليس لأنك تخرجُ كلّ يوم عند الساعة الثامنة واثان وخمسون دقيقة صباحاً لممارستها، وتلك القبلة المفاجئة التي زرعتها على شفتيك في حفلة رأس السنّة، ليس لأنّ السّافلة رغد كانت تُطعمك الحلوة بيدها القذرة؛ بل لأنّ هناك بعض الحلوة كانت عالقة على شفتيك؛ فأردتُ أن أمسحها لك فقط.

صحيحٌ أنني أعشقُ رائحة ثيابك عندما تتخلّلها رائحة عطرك مع دُخان السجائر، لكنّ هذا لا يعني أبداً أنني أحبك.

لحظة.. لحظة.. أهذا أنتَ حقاً؟!!

يا إلهي إِنَّهُ يَنْقَدِّمُ نَحْوِي، ها قد وصل يا ويلتنااه...

\_ مرحباً أيتها المغرورة.

= أهلاً أيها الأبله.

\_ كم الساعة؟

= ساعتني معطّلة.

\_ لِمَ ترتدينها إذا؟!!

= لأنّ ساعتك معطّلة أيضاً

أنا لا أُحِبُّكَ حقاً، ربّما ضربتُ قلبي التي قد يصل جنونها حدّ السّماء عند اقترابك منها هي من تُحِبُّكَ، أنا أعشق تفاصيل وجهك، ومغرمةٌ ببِحّة صوتك الحادّة فقط، لكنني لا أُحِبُّكَ.

\_ وأنا أعشق عنادك، وغرورك، أنتِ يا صاحبة قلبي، والحياة.

= ااه أنتَ ما زلتَ هنا؟؟!

ألم تذهب بعد؟؟!

\_ دعك من هذا، ودعيني أرى، كأنّ هناك بعض الحلوة عالقةٌ على شفاهك! سأتلّص منها إذاً.

من فضلك، هَلَّا أفسحت لي الطّريق لأجلس في المدّرج الخلفي؟

=تفضّل.. ولكن لِمَ كلّ هذا الحزن على تقاسيم وجهك؟!!

وتلك الهالات السّوداء تحت عينك، وكأنّ الدّموع أخذت تحفر مجراها  
على خديك، ما بالك؟

هل أنت حزين لهذه الدّرجة؟!!

لا تكثرث للأمر، إنّهُ مجرد إرهاق من العمل والدراسة فحسب.

= كما تريد....

"غالبًا ما يكونون الغرباء صادقون ولكن نحن من نكذب أحيانًا"

حَتَّى وَأَنْتَ مَنْشَغَلٌ فِي الْمَعْصِيَةِ قَمِ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ عُدْ لِلْمَعْصِيَةِ بَعْدَهَا إِنْ أَرَدْتَ.

حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ مَرْتَكِبًا لِلْكَثِيرِ مِنَ الذَّنُوبِ لَا تَقْطَعِ الصَّلَاةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ.  
أَذْنِبْ وَصَلِّ

المعصية مرضٌ ودوائه الصَّلَاةُ فصدق الله عندما قال "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى  
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"

معصيتك ليست مبررًا أَنْ تترك صلواتك والصَّلَاةَ لَا تَبْطُلُ إِنْ كُنْتَ مَذْنِبًا.  
من قال أَنَّ المذنبون لَا يدخلون الجنة يا أخي!!

كان الأمر أشبه بأن تسقي وردة بلاستيكية، وتنتظرها لتنمو.

## \*قضبان خلف القضبان\*

بعد أن أتممتُ السنَّ القانوني، خرجتُ من الميتم، لتبدأ بعدها الحقيقة بالظهور أمامي بأبشعِ صورها.

أخبروني في الميتم: أنّ أهلي قد ماتوا إثر حادثٍ سيرٍ خطير، لكنّ الحقيقة أنّ أبي قد باعني لمدير الميتم، بثمنٍ يمكّنه من افتتاح المقهى الليلي الخاص به، ومديرُ المشفى الذي كنتُ أتعالجُ فيه من آثار المخدّرات التي كانوا يدسوها لنا في طعام الميتم، أخبرني بأنّه كان صديقٌ قديمٌ لعائلتي، وأنّ جدّي هو من قتل أمّي عندما رآها وهي تضعُ السمّ في طعامه؛ لتحظى بعدها بكلّ ما يملك.

وصاحب المطعم، ورجل الدكان، وبائع الثياب... أولئك الذين عمِلتُ عندهم لفتراتٍ قصيرة طُرِدتُ بعدها، في تلك الأثناء جاءت عمّتي لتُخبرني أنّني لن أحظى بالعمل في أيّ مكان، قبل أن أتخلّى عن ماليّ كاملاً من تركة أبي الذي لم يمُت بعد!

الفتاة التي أحببتها، كانت عميلة لصالح أخي (ضابط الشرطة) استطاعت بحنكته أن تضع سلاحاً في بيتي، ليُقبضَ عليّ بعدها بتهمة قتل رجل أعمالٍ معروف، وجدوا جُثته في عُرفتي، وبعد انقضاء الخمسة وعشرون سنة خلف القضبان الحديدية، خرجتُ لأجد نفسي خلف القضبان البشريّة مجدداً.

وفي الختام، دعونا نتفق على أمر في غاية الأهمية، "ليكن حلمك القمر، فإن لم تصل، فإنك سترسو بين النجوم" لا بُدّ للأحلام أن تتحقق، هي لم تُخلق عبثاً، لكل واحدٍ منا حلمٌ مكتوبٌ باسمه، لن يصلَ له غيره، إذا كُن على يقين أنّ من زرع داخلك رغبة الوصول إلى شيء، أكرم من أن يرى لهفتك تجاهها ويحرمك إيها، لا علاقة للظروف بالفشل، ولا علاقة للأشخاص السيئين بإحباطك، حارب الظروف، وتحدي الصعاب، لتصل إلى حلمك، دع نجاحك يُعلم من راهنوا على فشلك درساً مهماً، وشاهدهم وهم يقفون في أول صفوف المصنفين، يكون على خيبتهم، وجود مثل هكذا أشخاص في حياتنا، يجعلنا أقوى، ويُنمي روح الإصرار، والعزيمة للوصول إلى حلم راهن الجميع على أنه مجرد وهم.

إياكم أن تتوقفوا عن المحاولة، لذة الوصول ستنسيكم تعب الطريق، لا طعم للنجاح دون تعب، ومعاناة.

دُمتم وأحلامكم بألف خير، لنا موعدٌ آخر، مع إنجازٍ جديد، بإذن الله.